العرب والصين من طريق الحرير إلى حوار الفلسفة

The Arabs and China: From the Silk Road to Philosophical Dialogue

أ . د. طه جزاع مزبان

كلية التربية / جامعة التراث

tahamezban75@gmail .com

الملخص

تعود العلاقات العربية الصينية إلى زمن قديم جداً، ربما إلى القرن الثاني قبل الميلاد يوم وصلت السفن الصينية إلى عدد من الموانئ المطلة على المنطقة العربية مثل موانئ الأبلّة والبصرة وعدن وصحار العمانية، ثم استمرت عبر القرون اللاحقة حتى عصر ظهور الإسلام، وما أعقبه من فتوحات وتمازج بين شعوب وحضارات العالم القديم ومنها الحضارة الصينية. وكان طريق الحرير هو الرابط الأهم الذي مكن العرب الأوائل من التعرف على بلاد الصين البعيدة عن بلدانهم على الرغم من المخاطر العديدة التي كانت تواجه قوافلهم على هذا الطريق الوعر المخيف والطويل. وفي العصر الحديث بدأ حوار جديد بين العرب والصين وبالأخص بعد أن أطلق الصينيون شعار " حزام واحد طريق واحد " الذي كان بمثابة الإعلان الرسمي عن تأسيس طريق حرير جديد يربط بينهم وبين العالم العربي وبقية أنحاء العالم. وسبق ذلك حوارات وترجمات وندوات فكرية وثقافية وأدبية وفلسفية متبادلة بين المثقفين والأكاديميين العرب والصينيين قامت على استيعاب جديد للفلسفات الصينية مثل التاوية والكونفوشيوسية، فضلاً عن أعمال المترجمين الصينيين المسلمين لترجمة القرآن الكريم والكتب الفقهية والتفاسير والقصائد والمؤلفات الإسلامية من اللغة العربية إلى اللغة الصينية مما مهد لحوار متواصل ولقاء مستمر ومنفتح على المستقبل بين الثقافتين .

الكلمات المفتاحية : ((طريق الحرير ، العرب والفلسفة الصينية ، حزام واحد طريق واحد ، التاوية والكونفوشيوسية)) .

Abstract

Arab-Chinese relations date back to ancient times, possibly as far as the second century BC, when Chinese vessels reached several ports overlooking the Arab region, such as **Al-Ubullah**, **Basra**, **Aden**, and the Omani port of **Sohar**. These relations persisted through subsequent centuries until the advent of Islam and the ensuing conquests, which led to the intermingling of ancient civilizations, including the Chinese. The **Silk Road** served as the most vital link, enabling early Arabs to encounter China despite the numerous perils facing their caravans on that rugged and arduous journey.

In the modern era, a new dialogue has emerged, particularly following the launch of the **"One Belt, One Road"** initiative, which acted as the

official declaration of a new Silk Road connecting China with the Arab world and beyond. This was preceded by mutual intellectual, cultural, and philosophical exchanges between Arab and Chinese scholars. These dialogues were built upon a modern understanding of Chinese philosophies such as **Taoism** and **Confucianism**. Furthermore, the efforts of Chinese Muslim translators in rendering the **Holy Quran**, jurisprudential texts, exegeses, and Islamic literature from Arabic into Chinese paved the way for an ongoing and forward-looking cultural encounter between the two civilizations.

Keywords: ((Silk Road, Arabs and Chinese Philosophy, One Belt One Road, Taoism and Confucianism)).

المقدمة

تتخذ العلاقة المتجددة بين العالم العربي وجمهورية الصين الشعبية في مطلع القرن الحادي والعشرين طابعاً مزدوجاً، يمكن تصويره بعلاقة وجدانية نقية في زمن رقمي؛ إذ يكتنفها شيء من التردد والحذر، وفي الوقت ذاته تغذّيها تطلعات متفائلة ترسم آفاقاً مشرقة لمستقبل مشترك.

وتتباين مواقف المتلقين لهذه العلاقة؛ فثمة من يرى فيها فرصة للانفتاح على شريك دولي متوازن، بعيداً عن إرث الغرب المرتبط في الوعي التاريخي بالهيمنة والتبعية. في المقابل، يعبّر آخرون عن قلقهم نتيجة التأثر بالسرديات الإعلامية الغربية، وضعف الإلمام بخصوصية التجربة الصينية وعمقها الحضاري.

وانطلاقاً من ذلك، يؤكد هذا البحث أن طريق الحرير لم يكن مجرد ممر للتبادل التجاري، بل كان جسراً حضارياً لنقل الأفكار والفلسفات، ومصدراً لقيم إنسانية وروحية تدعو إلى الخير والتسامح، وهي ذات المبادئ التي تلتقي مع تعاليم الإسلام وسائر الشرائع السماوية.

❖ **أهمية البحث:** تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على نموذج فريد للعلاقات الدولية يتجاوز الأطر الاقتصادية والسياسية الضيقة إلى آفاق "المصاحبة الحضارية"، وذلك منها:

١. **التأصيل التاريخي** :رصد الجذور العميقة للعلاقات العربية الصينية التي تمتد إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وإثبات أن التواصل لم يكن وليد اللحظة السياسية المعاصرة.

٢. **الجسور الثقافية** :إبراز دور "طريق الحرير" ليس فقط كممر للتجارة (الحرير والنفط)، بل كقناة لانتقال الأفكار والفلسفات والترجمات، خاصة جهود المترجمين الصينيين المسلمين.

٣. **الندية الحضارية** :تقديم بديل معرفي للعلاقة مع "الغرب" القائمة على الاستعمار والفوقية، واستبدالها بعلاقة مع شريك شرقي يتقاسم مع العرب قيم الحكمة والتسامح والفضيلة.

٤. **تعديل المركزية الغربية** :مناقشة فرضية ريادة الفكر الصيني (شي بو ولاو تسو) وسبقه للفكر اليوناني، مما يفتح الباب لإعادة قراءة تاريخ الفلسفة العالمي.

❖ **ثانياً: إشكالية البحث** : تتمحور الإشكالية حول التساؤل الرئيس :**كيف يمكن للانقطاع المعرفي الطويل وصعوبة اللغة ووعورة الطريق أن يتبدد أمام ضرورة الحوار الفلسفي والحضاري الجديد في ظل مبادرة "الحزام والطريق"؟** ويتفرع عن ذلك أسئلة متعددة:

- لماذا انصرف الفلاسفة العرب القدامى عن الفلسفة الصينية رغم تداخل قيمها مع التصوف الإسلامي؟
- هل يمكن لـ "حوار الفلسفة" أن يعالج حالة "القلق" التي يعيشها جزء من العقل العربي تجاه الصين بفعل التأثير الإعلامي الغربي؟
- إلى أي مدى يتقاطع مفهوم "التاو" الصيني مع "اللوغوس" اليوناني أو "المطلق" في التصوف العربي؟

التمهيد:

تبدو العلاقة المتجددة بين العالم العربي والصين الشعبية في بدايات العقود الأولى للقرن الحادي والعشرين، وكأنها علاقة حب عذري في العصر الإلكتروني، حبٌ يشوبه التردد والقلق من جهة، وترتقي به المشاعر الجياشة لتصوغ من الأماني أحلاماً وردية لمستقبل سعيد لهذه العلاقة من جهة أخرى، ولكل من القَلِقِين والحالمين أسبابهما ومسوغاتهما، على الأقل من جانب واحد عانى من خيبات متلاحقة في علاقاته مع الغرب " المتحضر" بما يمثله من مفاهيم الاستشراق والاستعمار والاستحواذ والحماية والفوقية والتبعية، والذي بقيت دوله الاستعمارية هي المهيمنة على مقدرات العرب ومصائر شعوبهم ودولهم وممالكهم

واماراتهم من شواطئ المحيط الأطلسي حتى ضفاف الخليج، ومن أقصى غربي أفريقيا وأواسطها حتى غربي القارة الآسيوية ونهاياتها المواجهة للقارة الأوروبية، ويتضمن التمهيد الآتي:

- **أولا: الخلفية التاريخية والسياسية للعلاقة:** وفي هذا الامتداد الجيوسياسي كُتب تاريخ طويل، لم يكن مشَّرفاً ولا هادئاً ولا منصفاً في أغلب صفحاته التي تلطخت بالدم والقهر والاستبداد منذ انتهاء عصر الخلافة العثمانية مع استهلال العقد الثاني من القرن العشرين، ناهيك عما شهده ذلك العصر الذي ورث مآسي الحروب الصليبية، من تنكيل واضطهاد دفع فيه العرب القسط الوافر بحثاً عن حريتهم واستقلالهم وسيادة بلدانهم.
- **ثانيا: دوافع التوجه نحو الصين:** وذلك كله يخلق أسباباً للعرب الحالمين بعلاقة متوازنة مع شريك آخر لم يكن له مثل هذا التاريخ الغربي سيء الذكر، ويبدو أنه الشريك الأقرب إلى أرواحهم وأذهانهم، فهو وريث حضارة شرقية عظيمة كان لها الفضل في خدمة الحضارة الإنسانية عبر العديد من الاكتشافات والاختراعات، مثلما كانت منبعاً للحكمة والفلسفة والنِحل الروحانية بقيمها الأخلاقية والإنسانية التي تدعو للخير والمحبة والفضيلة والتواضع والتسامح والسلام، وهي ذات القيم التي يؤكد عليها الإسلام دين العرب الأساس، مثلما تؤكد عليها الشرائع السماوية الأخرى. (١)
- **ثالثا: أسباب القلق والتحفظ:** أما العرب القلقون من هذه العلاقة، فإنهم وتحت تأثير الاعلام الغربي والأميركي على وجه الخصوص، وكذلك بفعل معلوماتهم الضئيلة عن الصين فكراً وتاريخاً وحضارة وشعباً ودولة معاصرة، يتوجسون خيفة من التقدم خطوة حقيقية في علاقاتهم مع الصين، وقد يتحمل الصينيون أنفسهم جانباً من هذه المسؤولية بسبب عزلتهم الطويلة عن العالم العربي، ومنها ضعف إقامة العلاقات الثقافية مع العرب التي يبدو أنهم تنبهوا لها فقط في العقدين الأخيرين فسارعوا بمد الجسور الثقافية والعلمية وعقد الندوات والمؤتمرات الأكاديمية بمشاركة عربية واسعة.

---

(١) ينظر: د. إمام عبد الفتاح إمام، مدخل إلى الفلسفة القديمة، ط١، القاهرة: دار التنوير، ٢٠٠٥، ص٢٢.

- **رابعا:العلاقات الثقافية والترجمة:** إن أقسام اللغات الأجنبية وفي المقدمة منها اللغة العربية من الأقسام التي افتتحت بوقت مبكر في معهد بكين للغات الأجنبية، وفي جامعة شانغهاي للدراسات الدولية فضلاً عن جامعات أخرى ومدارس إسلامية تدرس اللغة العربية ، كما أن الترجمة الصينية للأعمال العربية الإسلامية بدأت في وقت مبكر، وبحسب ما يؤكده الأديب والمترجم الصيني المعاصر شوي تشينغ قوه، فإن المرحلة الأولى لترجمة الأدب العربي إلى الصينية في العصر الحديث بدأت مع قصيدة البُرْدَة للبوصيري، عندما عاد العالِم المسلم مادة شينغ من البلاد العربية إلى الصين ومعه هذا الكتاب الذي سيكون أول عمل أدبي – ديني يترجم إلى اللغة الصينية أواخر القرن التاسع عشر، ويصدر بكتاب مع النَص العربي عام ١٨٩٦. [١]

وبذلك تكون قصيدة البُرْدَة قد افتتحت المرحلة الأولى لترجمة الأدب العربي في الصين، وهي المرحلة التي انتهت يوم تأسيس جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩ لتبدأ بعدها مرحلة جديدة.

- **خامسا: الجذور التاريخية للعلاقات العربية الصينية:** ويعرف كل مهتم بالعلاقات العربية – الصينية، بأنها قديمة جداً، ربما تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد يوم وصلت السفن الصينية إلى عدد من الموانئ المطلة على المنطقة العربية، وأشهرها الأبلّة والبصرة وعدن، وصحار العُمانية، ثم استمرت عبر القرون اللاحقة، حتى عصر الرسالة الإسلامية، وما أعقب ذلك من فتوحات وتمازج بين شعوب وحضارات العالم القديم ومنها الحضارة الصينية، غير أن تلك العلاقات اقتصرت على نحو خاص بالتجارة المتبادلة والتمازج البشري الذي تتطلبه، من غير أن تتعداها إلى الجانب الثقافي [٢].

([١])ينظر: د. بدر الدين حي الصيني، المسلمون في الصين، ط٢، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٩٩٠. وينظر: شوي تشينغ قوه (بسام)، تاريخ الأدب العربي في الصين، ط١، أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ٢٠١١، ص٤٥.

([٢])ينظر: العرب والصين: قصة حضارتين، ط١، بغداد: منشورات بيت الحكمة، ٢٠١٢، ص٢٢، وينظر: الجذور التاريخية، ص ٨٨.

- **سادسا: الترجمة الدينية وجهود المسلمين في الصين:** بعد وصول الإسلام إلى الصين بفضل التجار العرب والفرس والترك – ومنهم من أختار البقاء في الصين والزواج وتكوين الأسر الصينية المسلمة التي هي نواة المسلمين في الصين – فإن هؤلاء لم يضطروا إلى ترجمة الكتب الدينية والأدبية لأنهم كانوا يقرؤونها بلغاتهم الاصلية، أو باللغة العربية التي يجيدونها، لكن بمرور الزمن قام عدد من المشايخ الصينيين الذين يتحدثون العربية إلى جانب اللغة الصينية، بمحاولات ترجمة كتب التفاسير والفقه وغير ذلك من الكتب الإسلامية، فضلاً عن جهدهم المتواصل لترجمة معاني القرآن الكريم على الرغم من وجهات النظر المختلفة في ترجمته بين قبول أو رفض من علماء الدين والفقهاء واللغويين.
- **سابعا: إشكالية ترجمة القرآن الكريم:** فمنهم من يجيزها، ومنهم من يجدها غير ممكنة أو مستحيلة، مثل أستاذ النحو والتعبير القرآني د. فاضل السامرائي الذي أشار في واحدة من لمساته البيانية إلى أن القرآن فيه تقديم وتأخير ومرادفات ومبالغات، فكيف على سبيل المثال تُترجم غفار وغفور، وهماز وهمزة، وهل يفرقون بين الرحمن والرحيم ودلالة الرحمن غير دلالة الرحمة ؟ وحتى الترجمة إلى اللغة الإنكليزية فإنه يوضح بأن اللغات قسمان، معربة ومبنية، والإنكليزية مبنية، وهي تأتي ضمن نسق واحد لا تستطيع أن تقدم فيه أو تؤخر، وكل كلمة تحمل موضعها في المكان.
- **ثامنا: تطور الترجمات والجهود الحديثة:** أما محاولات ترجمة القرآن إلى اللغة الصينية، فإنها كثيرة، لكنها كلها متأخرة جداً مقارنة بالوقت المبكر لدخول الإسلام إلى أراضيها قبل نحو ألف وثلاثمائة سنة. وفي الكتاب الفخم والمهم الذي أصدره بيت الحكمة في بغداد " العرب والصين قصة حضارتين " تفصيل لتلك الترجمات...

المبحث الأول

الجذور التاريخية والروابط التجارية

❖ المطلب الأول : العرب على طريق الحرير

• أولا: تاريخية التواصل منذ القرن الثاني قبل الميلاد عبر الموانئ العربية (الأبلة، البصرة، عدن، صحار).

كان طريق الحرير هو الرابط الأهم الذي مكن العرب الأوائل من التعرف على بلاد الصين البعيدة عن بلادهم، على الرغم من المخاطر الكثيرة التي كانت توجه قوافلهم على هذا الطريق الوعر الطويل، ويصف المؤرخ الصيني ماو توان لين هذا الطريق المخيف بالقول "على المرء أن يعبرَ سهلاً من الرمال يمتد لمسافةٍ تزيدُ على ألف فرسخٍ. ولا يرى الإنسانُ شيئاً في أي اتجاه سوى السماء والرمال، دون أن يكون هناك أدنى أثرٍ للطريق. [١]

• ثانيا: مخاطر الطريق الوعر ووصف المؤرخين له (أصوات الأرواح والعفاريت).

لا يجدُ المسافرون مرشداً لهم سوى عِظام البشر والدواب وبَعَر الجِمال، وطوال هذا الطريق الذي يقطعُ البرية تسمع أصواتاً، تكون غناءً تارة ونحيباً تارة أخرى. وكثيراً ما يتوه المسافرون الذين يتتَّبعون تلك الأصوات لمعرفة مصدرها ويضِّلون طريقهم. إنها أصواتُ الأرواح والعفاريت". [٢].

وهذا وصف مخيف لجزء من صحراء طريق الحرير، ذلك الطريق الذي كان بمثابة "عولمة" صينية سبقت العولمة الأميركية بأكثر من ألفي عام، يوم كان الحرير الصيني سلعة عالمية، أشبه بسلعة النفط في زماننا المعاصر، ويوم كانت وسائل المواصلات بين الشعوب، هي الجِمال والبِغال والثيران والخيل والحمير والسُفُن والمراكب البدائية، يوم لم تكن هناك طائرات ولا قطارات ولا سيارات ولا طرق مُعبَّدة، فعلى هذا الطريق التجاري البري الذي يربط الصين بغرب ووسط آسيا، وصولاً إلى تخوم البحر الأبيض المتوسط، ثم إلى أوروبا وافريقيا.

• ثالثا: الحرير الصيني كسلعة عالمية موازية لأهمية النفط في عصرنا الحالي:

لم تعبر البضائع وحدها، وفي مقدمتها الحرير الصيني، إنما تلاقحت أفكار وثقافات، وتحاورت حضارات، وعَبَرت فلسفات، وامتزجت مِللٌ ونِحَلٌ وأديان، من الطاوية والبوذية والكونفشيوسية والمانوية والزرادشتية، إلى اليهودية والمسيحية، وأخيراً الديانة الإسلامية، التي

([١])ينظر: تشانغ جيانغ، الصين والعرب في التاريخ، ط١، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٥، ص٤٥، وينظر فرانكوبان، طرق الحرير: تاريخ جديد للعالم، ترجمة: أحمد محمود، ط١، أبوظبي: دار كلمة، ٢٠١٧، ص٦٤.

([٢])ينظر: أيرين فرانك وديفيد براونستون، طريق الحرير، ترجمة: د. أحمد فؤاد، ط١، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٤، ص ٤٥، ص ١١٢ (تاريخ مدينة بلخ).

سار رجالها على طريق الحرير، لا للتجارة فحسب، إنما لإيصال رسالة الإسلام إلى شعوب شرقي آسيا حتى تخوم سور الصين العظيم، وأدنى مدائنه، ويومها أيضاً لم تكن القارة الأميركية قد أُكتشفت بعد، ولم تكن هناك دولة اسمها الولايات المتحدة الأميركية. (١)

وعلى هذا الطريق الذي يمتد لما يقارب من عشرة آلاف كيلو متر، وفي مساراته شرقاً وشمالاً، وجباله الوعرة وصحاريه وواحاته ومحطاته ومدنه الكبرى، مثل كاشغر الصينية، ومدن مرو في تركمانستان، وفرغانة وبخارى وسمرقند في أوزبكستان، وبلخ في افغانستان، والري قرب طهران، ونينوى وحلب وانطاكية وطرابزون والقسطنطينية وغيرها، جرت وقائع ملحمة بشرية طويلة لكنها متقطعة عبر التاريخ، وسارت قوافل، وهلك رجال، ودُفنت آثارهم وعظامهم بين كثبان الرمال الشاسعة، وفيافي الصحارى، وسفوح الجبال، فلم يكن طريق الحرير آمناً في أغلب حقب تاريخه الطويل، وكانت القوافل تتعرض لغزوات اللصوص وقطاع الطرق، فضلاً عن قساوة البيئة، وتقلبات المناخ، وهبوب العواصف الرملية التي تؤدي إلى الهلاك، أو تؤدي إلى الهذيان المصحوب بسماع أصوات غريبة تنادي التائهين، كتلك الأصوات التي حدثنا عنها المؤرخ الصيني، والتي تحدث عنها أيضاً ماركو بولو وهو يصف الطريق من بغداد إلى الصين بقوله "عندما يكون الإنسان مسافراً في هذه الصحراء ليلاً ويباغته النوم لسبب ما وينفصل عن رفاقه، فإنه يسمع أصواتاً لأرواح تتحدث بألسنة رفاقه، وأحياناً تناديه باسمه، وكثيراً ما تستدرجه هذه الأصوات بعيداً عن الطريق الذي قد لا يهتدي اليه أبداً بعد ذلك، والكثير من المسافرين ضاعوا وماتوا لهذا السبب.

وفي كتاب "طريق الحرير"، يقول مؤلفاه أيرين فرانك وديفيد براونستون "ومهما كان المسار الذي يسلكه المسافرون غرباً ليصلوا إلى الجانب الأقصى من جبال البامير، وهي الخط الفاصل التقليدي بين شرق آسيا وغربها، فقد كانوا يقصدون مرو. والحقيقة أنه نادراً ما كان هؤلاء هم أنفسهم المسافرون الذين بدأوا رحلتهم من الصين. فعادة ما كان الناس يسافرون لمسافة تتراوح بين ألف وألفي ميل فقط ليتاجروا أو يحجوا إلى الأماكن المقدسة أو يزوروا قصور البلاد الأخرى، ثم يعودون إلى ديارهم. وربما تمنى كثير من الناس قطع مسافة طريق

(١)ينظر: هيرلي ج. كريل، الفكر الصيني من الكونفوشيوسية إلى الماوية، ترجمة: عبد الحليم محمود، ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥، ص٧٨.

الحرير بالكامل، إلّا أن أغلبهم حالت الظروف دون قيامه بذلك. واستطاع ماركو بولو القيام بهذه الرحلة فقط لأن المغول في القرن الرابع عشر كانوا يسيطرون على الطريق كله".

ويمضي كتاب طريق الحرير في وصف مدينة بلخ وتقلب أحوالها بين حقب التاريخ بالقول "وتتضح أهمية بلخ من تاريخها، وهناك اعتقاد بأن زرادشت وُلد بها. وبعد ذلك اتخذ الإسكندر الأكبر عروساً منها، وكان عرسه من أشهر الأعراس في التاريخ، وبعد ذلك كانت مركزاً كبيراً للبوذية يقصده الحجاج من أنحاء شرق آسيا، ثم أصبحت المدينة درة في عقد المدن الذي ضم المدن الإسلامية الآسيوية. وجاء جنكيز خان ليقضي على عظمتها في النهاية".

لقد كانت جبال البامير التي ينبع منهما النهران الرئيسان في وسط آسيا جيحون وسيحون، وما بعدهما المنطقة التي سميت ما وراء النهر، أو القوقاز بحسب تسمية المسلمين، جزءاً مهماً من طريق الحرير الطويل الذي نشأ أصلاً لغرض تجاري، وهو ايصال الحرير الصيني إلى العالم، وصولاً إلى روما، ثم حلت القسطنطينية محل روما، لتصبح نقطة التقاء الشرق والغرب، من أواسط الصين، ومن جيحون وسيحون، إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، أو في مسار آخر إلى طرابزون على سواحل البحر الأسود، وبقيت القسطنطينية تؤدي هذا الدور حتى بعد فتحها سنة ١٤٥٣ ميلادية على يد السلطان محمد الفاتح وتغيير اسمها إلى اسطنبول، وإلى آخر عهد طريق الحرير، في مساريه البري والبحري، البري الذي يشتمل على مسالك وممرات وطرق تؤدي شمالاً إلى البحر الاسود، ثم جنوب روسيا والأناضول وآسيا الوسطى، وغرباً إلى ايران والعراق، وطريق آخر يؤدي إلى الهند وجنوب شرق آسيا، فضلاً عن طرق متفرعة تؤدي أيضاً إلى ايران والعراق وتدمر وانطاكية والبتراء ودمشق وبلاد الشام، والبحري الذي يبدأ من المحيط الهندي، صعوداً إلى البحر الأحمر، وصولاً إلى مصر وقارة افريقيا، وحوض البحر الأبيض المتوسط، وكانت مسارات طريق الحرير تتقلب بين الحركة النشيطة والخمود على مر الحقب المتلاحقة، الرومانية والبيزنطية والإسلامية. [1]

(1)ينظر: هادي العلوي، مدارات الفلسفة: الفلسفة الصينية – مدرسة الحكمة، ط١، بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٩٩٥، ص١١٠.

❖ **المطلب الثاني: مبادرة "حزام واحد طريق واحد" كبعث جديد للطريق التاريخي.**

في شباط / فبراير ٢٠١٧ عَقد مركز دراسات الوحدة العربية، بالتعاون مع مركز دراسات الشرق الأوسط، وجامعة شنغهاي للدراسات الدولية، ندوة خاصة بالعلاقات العربية – الصينية، واستحوذ طريق الحرير على عدد من البحوث والنقاشات، ذلك أن الصين تحاول منذ سنوات إحياء هذا الطريق التجاري لتقوية صلاتها مع البلدان العربية والإسلامية، والانفتاح الاقتصادي على العالم، لا شك ان الوسائل تغيرت، فذلك لا يعني في الاحوال كلها، العودة إلى المدن والمحطات والطرق القديمة، ولا يعني العودة إلى ركوب الجِمال والخيل والبغال والحمير، إنما يعني التسريع في ايصال منتجاتها وصناعاتها إلى الأسواق العالمية، والخروج من داخل أسوار الصين، إلى الآفاق البعيدة. (١)

ومنذ العام ٢٠١٣ أعلنت الصين رسمياً عن تأسيس طريق حرير جديد، يصل بين ٦٠ دولة، أطلقت عليه شعار "حزام واحد طريق واحد "، وكان رئيس الوزراء الصيني الأسبق لي بينغ أول من طرح فكرة إحياء طريق الحرير في العام ١٩٩٤ ولقيت فكرته تفاعلاً عن العديد من الدول، وفي نيسان/ابريل ٢٠١٧ افتتح الرئيس الصيني شي جين بينغ قمة حملت اسم " طريق الحرير الجديدة " بمشاركة ١٥٠ بلداً، من اجل التسويق والتعريف بالمبادرة الصينية، التي ستكون محوراً للعلاقات الاقتصادية العالمية. (٢)

وهذا يعني مما لاشك فيه أن الصين التي قدمت للعالم، أولى أشكال "العولمة" البدائية متمثلة بطريق الحرير، قد حاولت أن تأخذ زمام المبادرة في قيادة العلاقات الاقتصادية والتجارية التي نتجت عن عصر "العولمة" الأميركية، وهذه المحاولة المستمرة والمتصاعدة، قد تكون واحدة من الأسباب الخفية غير المعلنة التي تقف وراء تصاعد موجة الخطاب الأميركي ضد الصين، تحت يافطة جائحة كورونا، وكذلك بعد التوتر بين البلدين بسبب زيارة نانسي بيلوسي رئيسة مجلس النواب الأميركي لجزيرة تايوان مطلع آب / أغسطس ٢٠٢٢، هذه

---

(١)ينظر: مركز دراسات الوحدة العربية، العلاقات العربية – الصينية: السياسة والاقتصاد والثقافة، ط١، بيروت، ٢٠١٨، ص٤٢

(٢)ينظر: د. نادية حلمي، مبادرة الحزام والطريق الصينية: القوة الناعمة للصين في الشرق الأوسط، ط١، القاهرة: المكتب العربي للمتارف، ٢٠٢١، ص٨٩

الزيارة التي وصفها الكاتب الأميركي توماس فريدمان في عموده بصحيفة " نيويورك تايمز" بأنها شيء طائش وخطير وغير مسؤول على الاطلاق وجاء في أسوء توقيت.

عدا عن ذلك فإن هناك تنافساً تقنياً اقتصادياً بين البلدين، وفق ما يقوله الخبير الاقتصادي العربي طلال أبو غزالة، الذي تنبأ بأن العالم مقبل على كساد وغلاء – وهذا ما حصل لاحقاً – سيما بعد اندلاع الحرب الروسية – الأوكرانية، والخوف الأكبر الذي يرجعه إلى معلوماته التي يستقيها من مراكز المعلومات والأبحاث في الولايات المتحدة وغيرها، أنه سيلي هذه المرحلة حرب عالمية " نحن على أبواب حرب عالمية ثالثة بين الصين وأميركا، لأن هذا العالم فيه هذان القطبان المتنافسان، المتصارعان على قيادة العالم، وليس القيادة السياسية فقط، فهي شيء ثانوي، والأهم هي القيادة التقنية والاقتصادية، ومشكلة أميركا أنها لا تستطيع أن تتقبل أن الصين يتفوق عليها تقنياً واقتصادياً، فيجب أن تمنع ذلك"، وهو كلام وتحليل دقيق لأبي غزالة، وإن كنا نستبعد المواجهة العسكرية بين البلدين، ونميل على الأرجح إلى رأيه بأن يجلس هذان القطبان، لإنشاء نظام عالمي جديد.

وهنا لابد أن يستذكر القاريء النبيه من جديد، تلك الحرب العالمية الثالثة التي توقعها مستشار الأمن القومي الأميركي الأسبق، وزير الخارجية في عهد نيكسون، هنري كيسنجر، الذي أدلى قبل سنوات بتصريح صحفي قال فيه " إن ما يجري حالياً هو تمهيد للحرب العالمية الثالثة، التي سيكون طرفاها روسيا والصين من جهة، والولايات المتحدة من جهة أخرى، حرب ستكون شديدة القسوة "، ثم كرر ما يشبه ذلك في تصريح خلال جلسة منتدى الاقتصاد الجديد الذي انعقد في بكين تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٩، حين حذر من صراع قد يكون أسوأ من الحرب العالمية الأولى، إذا ما تُركت الأمور على ما هي عليه، مؤكداً على ان الولايات المتحدة والصين على " شفا حرب باردة ".

يذكر أن هنري كيسنجر" ١٩٢٣– " هو المتبقي الحي الوحيد الشاهد على بداية الاتصالات الدبلوماسية المباشرة بين بكين وواشنطن العام ١٩٧٢ على عهد الزعيم الصيني الراحل ماو تسي تونغ " ت ١٩٧٦ " والرئيس الأميركي الراحل ريتشارد نيكسون " ت ١٩٩٤ " والتي توجت بمعاهدة سلام غير معلنة لإنهاء الحرب الباردة الطويلة والجمود السياسي بين البلدين.

المبحث الثاني

الإسلام في الصين وجهود المترجمين الأوائل

- **أولاً: صعوبة اللغة ووعورة الطريق**

في ندوة العلاقات العربية – الصينية التي مر ذكرها، يعزو الباحث سون ديغانغ من جامعة شنغهاي الدولية الفضل للعرب في بناء طريق الحرير بقوله " كلنا يعرف أنّ أصدقاءنا العرب هم من بنى طريق الحرير وليس الصينيون، وأننا أصبحنا شركاء مهمّين في القرن الحادي والعشرين" وهو يشير في ذلك إلى قِدَم معرفة الصينيين بالعرب، وقِدَم العلاقات التجارية بينهما، والتي ترجعها بعض المصادر الرصينة إلى ٦٣٦ للميلاد(١)، وفي ذلك يكتب محسن فرجاني، أستاذ اللغة الصينية في كلية الألسن بجامعة عين شمس " وربما كان الصينيون قد سمعوا كثيراً عن العرب – قبل الإسلام – من خلال التجار الذين كانوا يتنقلون بين جانغ آن عاصمة الإمبراطورية الصينية، ردحاً من الزمن، وبين العراق، ثم من الميناء الصيني كانتون إلى الخليج "، وكان الصينيون يطلقون على العرب تسمية " تاتشي" وهي كلمة قد تكون محرفة عن كلمة تاجر بالعربية، فقد كان أغلب العرب الذين دخلوا الصين في البداية يمتهنون التجارة، أي أنهم لم يتعرفوا على الفكر والفلسفة الصينية، ويستغرب الدكتور عبد الحسين شعبان كيف أن الفلاسفة العرب والمسلمون، لم يستهوهم مفكر مثل لاوتسه أو كونفوشيوس "علماً بأن الكثير مما في الفلسفة التاوية.

وقد يعود الأمر لصعوبة اللغة ووعورة الطريق وقلّة عدد المترجمين، حيث كان السريان هم من يقوم بترجمة الفلسفة اليونانية "، كما أن هناك من يعتقد بأن الصينيين أصحاب حرفة وصناعة ولا يهتمون بالمناظرات والجدال الفلسفي، أو أنهم كانوا يخضعون لنظام استبدادي عريق في القدم لم يسمح لهم بحرية التفكير، وفي الرد على ذلك تقدم آن شنغ أستاذة كرسيّ في الكوليج دي فرانس كتابها "الفكرُ في الصّين اليوم" الذي يتضمن استشهادات عديدة لأعلام بارزين في الموروث الصيني، وشهادات مفكرين صينيين معاصرين تدحض ذلك الاعتقاد الخاطيء بقوة .

---

(١)ينظر: مركز دراسات الوحدة العربية، العلاقات العربية – الصينية: السياسة والاقتصاد والثقافة، ط١، بيروت، ٢٠١٨، ص٤٢

- **ثانياً: الإسلام في الصين وجهود المترجمين الأوائل**

وفي سياق العلاقات العربية الصينية، واحياء الحوار الثقافي والتلاقح الحضاري بينهما، يمكن عد الزيارة التي قام بها الرئيس الصيني شي جين بينغ إلى مقر جامعة الدول العربية يوم ٢١ يناير/ كانون الثاني العام ٢٠١٦ خطوة مهمة في جهود الصين لتحقيق رؤيتها الاقتصادية مع العالم العربي للقرن الحادي والعشرين، وقد بدأ بينغ خطابه للعرب بكلام عاطفي نوعاً ما، مردداً قولاً صينياً مأثوراً مفاده "إن الصديق العزيز هو الذي يُتطلع إليه قبل الزيارة، ويُشتاق إليه بعد الزيارة .. وعلى الأراضي العربية، أحس أنا وزملائي نوعاً من التقارب والمحبة، وهو جاء متراكماً بعد تبادلات تجاوزت حواجز المكان والزمان، بين الأمتين الصينية والعربية، خلال المعاملات الأمينة والمصاحبة المخلصة على طريق الحرير القديم". وحرص الرئيس بينغ على التذكير بفلسفة الصينيين التي يؤمنون بها متمثلة بحكمة " الطريق المسدود يستلزم التغيير، وبه يتم إيجاد طريق مفتوح " رابطاً هذا القول، بما يقوله العرب" دوام الحال من المحال"، وهذا الطريق المفتوح الذي لمح له الرئيس الصيني، لا يمكن أن يتم إلّا عبر تواصل الحوار في مختلف الميادين والذي انقطع طويلاً بين العرب والصين، ربما باستثناء جانبه التجاري المتصاعد في العقود الأخيرة ، غير أن الكثير من الباحثين المهتمين بالعلاقات العربية الصينية – ومنهم على سبيل المثال لا الحصر سامر خير أحمد في كتابه : العرب ومستقبل الصين من اللانموذج التنموي إلى المصاحبة الحضارية – يؤكدون بأن تلك العلاقات " قابلة للتوسع إلى آفاق غير محدودة ، إلّا أنها اتجهت للتحسّن منذ مطلع القرن الحادي والعشرين " .

المبحث الثالث

الفلسفة الصينية

- **أولاً: الفلسفة الصينية وموقعها في تاريخ الفلسفة**

دأب مدرسو الفلسفة، وبالأخص في العالم العربي على تلقين طلبتهم، بأن بداية التفكير الفلسفي التأملي، كانت في ملطية على يد طاليس في القرن السادس قبل الميلاد، وهو أول الفلاسفة الطبيعيين الأوائل، الذي قال بأن الماء هو أصل كل شيء حي، تبعه انكسيمندريس

الذي قال بمادة أولى أسماها الأبيرون، أو اللامتناهي، ثم أنكسيمانس الذي قال بالهواء، وهرقليطس الذي أعاد الاشياء كلها إلى النار [١].

وتكاد أغلب كتب تاريخ الفلسفة ومناهجها التي تدرس لطلبتها في الجامعات، ولطلبة الثانوية في عدد من البلدان العربية، أن لا تترك شيئاً في ذلك التاريخ من دون ذكر موجز أو مفصل، باستثناء الفلسفة الصينية التي يتم الإشارة اليها أحياناً بإيجاز قصير وبكونها تمثل حكمة لا فلسفة، ضمن الحضارة الصينية القديمة، وهي احدى الحضارات الانسانية الكبرى إلى جانب الحضارات الاغريقية والفرعونية وحضارة وادي الرافدين، وعادة ما تبدأ تلك المناهج والكتب المنهجية المقررة في تاريخ الفلسفة، بالفلسفة اليونانية، وفق يقين ثابت، بأنها تمثل البداية الحقيقية للتفكير الفلسفي، وتطوره اللاحق في الفيثاغورية والإيلية ممثلة في أكسانوفان وبارمنيدس وزينون الإيلي وماليسوس، وفلاسفة الطبيعة المتأخرين أمثال أنبادوقليس وديموقريطس وأنكساغورس والسوفسطائية ممثلة بأشهر السوفسطائيين بروتاغوراس وغورغياس، وصولاً إلى سقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس، ثم الأبيقورية والرواقية والشكاك، وانتهاءً بالأفلاطونية المحدثة " فيلون الاسكندري وأفلوطين "، والفلسفة الهلنستية التي نتجت عن تلاقح العقل اليوناني الغربي مع الروح الصوفية الشرقية.

- **ثانياً: مقارنة بين الفلسفة اليونانية والصينية وإشكالية الإهمال:** والحقيقة أن نظرة موضوعية متفحصة للفكر الصيني، بغض النظر فيما إذا كان يمثل نظاماً فلسفياً مجرداً، أو أنه يمثل منظومة أخلاقية وروحية فحسب، ترجح وجهة النظر التي تقول أن هناك أسباباً لا علاقة لها بعمق هذا الفكر – قد يكون غياب الترجمة – في مقدمتها، هي التي دفعت بمؤرخي الفلسفة، وعموم الفلاسفة العرب والمسلمين، لتجاهل الفلسفة الصينية، واعطاء جل اهتمامهم للفلسفة اليونانية والغربية عموماً، مع أن كلاً من الفلسفتين اليونانية والصينية ، بدأتا في حقبة زمنية متقاربة نوعاً ما هي القرن السادس قبل الميلاد، وعاش في السنوات ذاتها تقريباً، كلاً من الفيلسوف الطبيعي طاليس " أول من تفلسف " في ملطية، ولاو تزو أو لاو تسو وتشوانغ تزو وكونفوشيوس في الصين،

([١])ينظر: د. إمام عبد الفتاح إمام، مدخل إلى الفلسفة القديمة، ط١، القاهرة: دار التنوير، ٢٠٠٥، ص٢٢.

بل أن الكثير من الصفات الجسمانية الظاهرة تجمع بين كونفوشيوس وسقراط الذي جاء بعده، وكان الأول يزدري اللغة المنمقة، مثلما ازدرى سقراط السوفسطائيين، غير أن الأمر يبدو معكوساً في مسألة الصفات بين سقراط وأفلاطون، إذ أن لاو تسو هو الذي يمثل سقراط في الفلسفة الصينية ، فضلاً عن كونه طاليس هذه الفلسفة.

- **ثالثاً: الحوار بين كونفوشيوس ولاو تسو:** وفي كتابه "حكمة الصين" يلمح هـ . فان براج إلى أن الصينيين يختلفون في تحديد العصر الذي عاش فيه لاو تسو، لكن التقاليد الصينية تريده أن يكون معاصرا لكونفوشيوس، وأكبر منه سناً – لاحظ كيف يصبح الأول للثاني مثل سقراط لأفلاطون لاحقاً – وينقل لنا صاحب حكمة الصين، حكاية زيارة كونفوشيوس للاو تسو، والحوار الروحاني الصوفي المهم الذي جرى بينهما " ذهب كونفوشيوس لزيارة لاو تسو فوجده جامداً بلا حراك، وفي حالة انخطاف بالروح، واستولت عليه الغيبة، بينما كان يجفف شعره بعد الوضوء. انتظر باحترام حتى يعود إلى نفسه، ثم قال له :

لقد تركتُ الأشياء والناس، واختليتُ في عزلة الأنا !

ماذا يعني ذلك ؟ سأله كونفوشيوس: لم أعد بعد تماماً إلى حالتي. فروحي ماتزال متعبة ولا تستطيع بعد التفكير كما ينبغي، وفمي المشدود لا يستطيع النطق بسهولة، ومع ذلك سأحاول ارضاءك .

المبحث الرابع

فكرة الأضداد والتاو واللوغوس

- **أولاً: فكرة الـ "ين" والـ "يانغ" ومعنى الأضداد في الفكر الصيني:** يشرح مفهومي الـ " ين Yin " و " اليانغ Yang " بقوله : ان ذروة الـ " ين " هي السلبية الهادئة، وذروة الـ " يانغ " هو النشاط الخصب. إن سلبية الأرض تعرض نفسها إلى السماء، وإن نشاط السماء يمارس على الأرض: من هذين الشيئين ولدت جميع الكائنات. والحقيقة أن الـ " ين " و الـ" يانغ " يمثلان في الفكر الصيني الوحدة لا الثنائية، فاليانغ يمثل العنصر الايجابي الفعال القادر على انتاج أي شيء، وهو يرمز الى العنصر السماوي الذكوري المتحرك المتمثل في الشمس والضوء والحرارة والحياة، اما الين فهو يمثل العنصر

المنفعل الساكن والسلبي والأنثوي اللين ويتمثل في القمر والظلمة والبرودة والموت، وفي اليانغ والين يتوافر التناسق والانسجام في كل الوجود والموجودات. ان فكرة الأضداد والتناقض بين الـ " ين " و الـ "يانغ " تذكرنا أيضاً بفيلسوف الصيرورة الاغريقي هيراقليطس، الذي قال بالمعنى نفسه تقريباً " كل شيء ينساب ولا شيء يسكن، كل شيء يتغير ولا شيء يدوم على الثبات ،إنك لا تستطيع النزول مرتين إلى النهر نفسه، لأن مياهاً جديدة تنساب فيه باستمرار، الاشياء الباردة تصير حارة، والحارة تصير باردة، ويجف الرطب، ويصبح الجاف رطباً. إن الاشياء تجد راحتها في التغيّر".

- **ثانياً: التاوية والكونفوشيوسية وتحوّلها إلى ديانات:** ويُنظر إلى هذا اللقاء بين كونفوشيوس ولاو تسو، على أنه لقاء بين التاوية أو الطاوية والكونفوشيوسية، وقد تحولتا لاحقاً من فلسفتين إلى ديانتين يتبعهما أغلب الصينيين ، لاسيما الكونفوشيوسية التي اعتمدت طقوساً وممارسات وسلوكيات دينية بحت، فضلاً عن البوذية وبعض الديانات الأقلية الأخرى مثل الهندوسية والمسيحية والإسلامية. وينقل الدكتور عمر عبد الحي في كتابه "الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة" عن مصادر تاريخية صينية، بأن اسم فيلسوف التاوية كان " تان" واسم عائلته " لي" إلا أنه اشتهر بلقبه لاو تسو، ولم يعرف قط باسمه الحقيقي، وتعني كلمة لاو تسو باللغة الصينية المعلم القديم، أو المعلم كبير السن.

ويشكك البعض بوجود شخصيته التاريخية، مثلما يشكك بعضهم بوجود الشخصية التاريخية لسقراط اليونان، ويحكي مؤرخ التاريخ الصيني زومان تشين، الملقب بأبي التاريخ الصيني، كما ورد في قصة الحضارة لديورانت، بأن كونفوشيوس ذهب، وهو في الرابعة والثلاثين من عمره إلى لوبانغ للقاء لاو تزو الذي كان على فراش الموت، بغية الاطلاع منه عما تحويه خزائن المكتبة الملكية حول الشعائر والطقوس، فأجابه لاو تزو" إن ما تتحدث عنه يتعلق بكلمات أناس ماتوا ولم يبق منهم سوى عظام نخرة. تخلص من عجرفتك ومن جسارتك، وابتعد عن الطموح والادعاء، فهذه الصفات تحيق بشخصك أبلغ الأضرار، وهذا كل ما لديَّ، وقال كونفوشيوس فيما بعد، معلقاً على قول لاو تزو" أعرف أن في قدرة العصفور أن يطير، والسمك أن يسبح، والوحش أن يعدو: فالعصفور تُعَد له النِبال، والوحش تُهيأ له الشِباك، والسمك يُصنع له الشِصّ، لكن التنين المتواري خلف السِحاب وتدفعه الرياح صوب

السماء، أبعد عن مداركي ... ولعل لاو تزو تنين!. وبذلك يكون كونفوشيوس أول من شبه لاو تزو بالتنين، وكثيراً ما يُصور لاو تزو بالتنين رمزاً للوعي، كما يُصور عادة راكباً على جاموس، رمزاً للاجترار الهادئ للواقع .

- **ثالثاً: معنى التاو وعلاقته بمفهوم اللوغوس:** لكن ما الذي يعنيه التاو أو الطاو؟ هو المنهج أو الطريق أو الكلمة، وهو التعبير الذي يقصد به التناغم والتناسق الذي يتبعه الوجود في ترتيب عملية الوحدة بين جميع عناصره لتحقيق ذاته الفعلية والحقيقية، وقد سعى بعض الباحثين إلى الجمع بين معنى " الكلمة " ومعنى " الطريق" مستندين إلى التصور الإغريقي للفظ " لوغوس Logos " وهي الكلمة، أو العقل، أو الوسيط بين الله غير المرئي والعالم المرئي .

كذلك فإن المفهوم الديني للوغوس يجد تعبيره النموذجي في مستهل انجيل القديس يوحنا " في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله" ويشير برانج إلى أن الطاو هو أعمق وأوسع الرموز التي اعدتها الثقافة الصينية، وقد شهد هذا المفهوم تطوراً طويلاً قبل أن يكتسب المحتوى الصوفي، ويشرح الباحث الصيني الفرنسي هنري ماسبيرو التاو بقوله: " ان العلم الحقيقي، بالنسبة للحكيم، ليس علم الأشياء المحسوسة، إنه علم المطلق التي تسميه الطاوية بالطاو" [1]، لكن كيف يمكن اكتساب الطريق الذي يوصل إلى الطاو ؟ يواصل ماسبيرو" إنه لا يكتسب بالدراسة.. أولئك الذين يريدون الحصول على الطاو يبحثون عن مالا تعطيه الدراسة، وأولئك الذين يريدون الحصول عليه بالجهد، يبحثون عما ما لا يعطيه الجهد.. والتجربة وحدها تسمح ببلوغ الطاو، عبر مختلف المراحل التي وصفها المتصوفون في كافة الأزمنة وجميع البلدان: انفصال، زهد، وَجد – الذي هو تارة رعدة وتارة حالة رؤية –. وفي النهاية : الاتحاد الذي يشكل "السر الخفي العظيم" .

([1])ينظر: هنري ماسبيرو، الطاوية: الفلسفة الدينية للصين، ترجمة: د. بشير إبرير، ط١، الجزائر: منشورات الاختلاف، ٢٠٠٨، ص٨٨

ولا يحتاج الباحث، أو القاريء المطلع اطلاعاً بسيطاً على التصوف الإسلامي، مدى التشابه، بل والتطابق أحياناً، بين أحوال ومقامات هذا التصوف، مع مراحل التصوف الطاوي. وينُسب إلى لاو تسو معلم المعلمين كتاب " طاوتي كينغ " الذي يمكن ايجاز حكمته كاملة في هذه الحكمة " أولئك الذين يتكلمون لا يعرفون . أولئك الذين يعرفون لا يتكلمون" فيما كانت الحكمة كما يراها كونفوشيوس هي معرفة الناس، والفضيلة هي حب الناس، وكان المفكر الثاني للتاوية تشوانغ تسو يردد باستمرار" ان الطاو يسبق جميع التناقضات، انه المبدأ، والأصل الأول والكل، والمحرك الأول، والكمون، وجوهر الكمون، خلق كل شيء"، ويصف هادي العلوي" التاو" وفق لغة الفلاسفة المسلمين، بالبسيط الذي هو مبدأ كل الأشياء" وهو بهذا التحديد يمكن ان يكون مقابلاً لـ : الباري، العقل الأول، المحرك الأول، مع فارق اساس هو ان الفيلسوف التاوي لا يميل إلى تحميل مطلقه بعداً روحانياً واضحاً وحاسماً، لأنه لا يتعامل مع الالوهية .. كما يتحدث التاوي هواي نان عن استجابة الاشياء تلقائيا للتاو، فهي تذكرنا بمحرك ارسطو الأول الذي لا يتحرك، وإنما تتوجه اليه الأشياء بحاسة العشق التي في داخلها".

المبحث الخامس

الفلسفة الصينية

دأب مدرسو الفلسفة، وبالأخص في العالم العربي على تلقين طلبتهم، بأن بداية التفكير الفلسفي التأملي، كانت في ملطية على يد طاليس في القرن السادس قبل الميلاد، وهو أول الفلاسفة الطبيعيين الأوائل، الذي قال بأن الماء هو أصل كل شيء حي، تبعه انكسيمندريس الذي قال بمادة أولى أسماها الأبيرون، أو اللامتناهي، ثم أنكسيمانس الذي قال بالهواء، وهرقليطس الذي أعاد الاشياء كلها إلى النار. وتكاد أغلب كتب تاريخ الفلسفة ومناهجها التي تدرس لطلبتها في الجامعات، ولطلبة الثانوية في عدد من البلدان العربية، أن لا تترك شيئاً في ذلك التاريخ من دون ذكر موجز أو مفصل، باستثناء الفلسفة الصينية التي يتم الإشارة اليها أحياناً بإيجاز قصير وبكونها تمثل حكمة لا فلسفة، ضمن الحضارة الصينية القديمة، وهي احدى الحضارات الانسانية الكبرى إلى جانب الحضارات الاغريقية والفرعونية وحضارة وادي الرافدين، وعادة ما تبدأ تلك المناهج والكتب المنهجية المقررة في تاريخ الفلسفة، بالفلسفة اليونانية، وفق يقين ثابت، بأنها تمثل البداية الحقيقية للتفكير الفلسفي، وتطوره

اللاحق في الفيثاغورية والإيلية ممثلة في أكسانوفان وبارمنيدس وزينون الإيلي وملیسوس، وفلاسفة الطبيعة المتأخرين أمثال أنبادوقليس وديموقريطس وأنكساغورس والسوفسطائية ممثلة بأشهر السوفسطائيين بروتاغوراس وغورغياس، وصولاً إلى سقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس، ثم الأبيقورية والرواقية والشكاك، وانتهاءً بالأفلاطونية المحدثة " فيلون الاسكندري وأفلوطين "، والفلسفة الهلنستية التي نتجت عن تلاقح العقل اليوناني الغربي مع الروح الصوفية الشرقية.

والحقيقة أن نظرة موضوعية متفحصة للفكر الصيني، بغض النظر فيما إذا كان يمثل نظاماً فلسفياً مجرداً، أو أنه يمثل منظومة أخلاقية وروحية فحسب، ترجح وجهة النظر التي تقول أن هناك أسباباً لا علاقة لها بعمق هذا الفكر – قد يكون غياب الترجمة – في مقدمتها، هي التي دفعت بمؤرخي الفلسفة، وعموم الفلاسفة العرب والمسلمين، لتجاهل الفلسفة الصينية، واعطاء جل اهتمامهم للفلسفة اليونانية والغربية عموماً، مع أن كلاً من الفلسفتين اليونانية والصينية ، بدأتا في حقبة زمنية متقاربة نوعاً ما هي القرن السادس قبل الميلاد، وعاش في السنوات ذاتها تقريباً، كلاً من الفيلسوف الطبيعي طاليس " أول من تفلسف " في ملطية، ولاو تزو أو لاو تسو وتشوانغ تزو وكونفوشيوس في الصين، بل أن الكثير من الصفات الجسمانية الظاهرة تجمع بين كونفوشيوس وسقراط الذي جاء بعده، وكان الأول يزدري اللغة المنمقة، مثلما ازدرى سقراط السوفسطائيين، غير أن الأمر يبدو معكوساً في مسألة الصفات بين سقراط وأفلاطون، إذ أن لاو تسو هو الذي يمثل سقراط في الفلسفة الصينية ، فضلاً عن كونه طاليس هذه الفلسفة. وفي كتابه "حكمة الصين" يلمح هـ . فان براج إلى أن الصينيين يختلفون في تحديد العصر الذي عاش فيه لاو تسو، لكن التقاليد الصينية تريده أن يكون معاصرا لكونفوشيوس، وأكبر منه سناً – لاحظ كيف يصبح الأول للثاني مثل سقراط لأفلاطون لاحقاً – وينقل لنا صاحب حكمة الصين، حكاية زيارة كونفوشيوس للاو تسو، والحوار الروحاني الصوفي المهم الذي جرى بينهما " ذهب كونفوشيوس لزيارة لاو تسو فوجده جامداً بلا حراك، وفي حالة انخطاف بالروح، واستولت عليه الغيبة، بينما كان يجفف شعره بعد الوضوء. انتظر باحترام حتى يعود إلى نفسه، ثم قال له:

- لقد تركتُ الأشياء والناس، واختليتُ في عزلة الأنا !

- ماذا يعني ذلك ؟ سأله كونفوشيوس
- لم أعد بعد تماماً إلى حالتي. فروحي ماتزال متعبة ولا تستطيع بعد التفكير كما ينبغي، وفمي المشدود لا يستطيع النطق بسهولة، ومع ذلك سأحاول ارضاءك

➢ **ولابد من الإشارة إلى الآتي:**

١. العرب والفلسفة الصينية:

منذ أكثر من ثلاثين عاماً، أعلن هادي العلوي، وهو يعد العدة لإصدار كتابه " المستطرف الصيني" عن استغرابه من عدم التفات المسلمين إلى مذهب كونفوشيوس ، مشيراً إلى أن العديد من المسلمين عرباً وتركاً وفرساً اندمجوا في المجتمع الصيني ، وعرفوا من خلال علاقة مديدة ومتواصلة لأكثر من ست قرون، فنون الصين وصناعاته، ولم يتوغلوا أبعد ليعرفوا فلسفتها كما فعلوا مع فلسفة الاغريق "ودخلوا في خدمة الدولة في وقت مبكر من تدفقهم على الصين في العصر العباسي الأول ، وشاركوا في الامتحانات الامبراطورية التي تسبق الدخول في الخدمة، وتوظف الكثير منهم بعد نجاحهم في هذه الامتحانات، وكان موضوع الامتحانات في المقام الأول هو المأثورات الكونفوشية ".

وقد حاول العلوي تفسير هذا الوضع الغريب بالإشارة إلى " ان الفكر الاسلامي يتحدث عن فلسفة الاغريق وحكمة الهند وصنعة الصين وسياسيات فارس، ولم يرد على بال مثقف مسلم أن يسأل عما قد يكون وراء فنون الصين وصناعاتها من معرفة عقلية ".

وفي مستطرفه الصيني هذا ، وقبل ذلك مقدمته العميقة التي قدم بها ترجمته لكتاب التاو، يفجر العلوي مفاجأة من العيار الثقيل في إعادة كتابة تاريخ بدء التفكير الفلسفي، ويدعو إلى تعديل هذه البداية " لولا أننا لانزال مُستَعبدين للغرب" !. كيف، وما قرينته لدعم هذه الدعوة ؟ إنه يعيد فرضية العناصر الأربعة الإغريقية " التراب، النار، الهواء، الماء" إلى فرضية صينية أسبق منها، تعود إلى الألف الأول قبل الميلاد، هي فرضية العناصر الخمسة التي قال بها الصيني " شي بو" الذي اكتشف هذه العناصر قبل لا وتسه – كونفوشيوس بثلاث قرون، وقبل طاليس بقرنين، أي أنه يعيد بداية التفكير الفلسفي إلى ما قبل القرن السادس قبل الميلاد، كما هو متعارف عليه عند أغلب مؤرخي الفلسفة، ويحل " شي بو" محل " طاليس" .

ولا يكتفي بذلك، إنما يسلب هذه البداية التاريخية للفلسفة من الاغريق ليمنحها إلى الصينيين. غير أنه ما يلبث أن يجد حلاً منصفاً، بين حفرياته التاريخية الصينية، ورغبته العلمية ربما، وما هو معروف ومتداول في التاريخ الفلسفي، فيقول " للفلسفة بدايتان، في ملطيا حيث كان طاليس المولود عام ٦٥٠ ق . م ، وفي ليشيانغ من اعمال جنوب الصين حيث ولد لاوتان في حدود ٦٠٠ ق . م ولاوتان هو المعروف في تاريخ الفلسفة الصينية بلقبه لاوتزو، وهو مؤسس التاوية فلسفة الصين العظمى" . ويلقي اللوم على "أساتذتنا في القارة البيضاء" في اننا لم نعرف سوى طاليس القادم من الغرب، مع أن للفلسفة ثمة بداية اخرى تعاصر بدايتها المعروفة لدينا" دون أن تداخل احدنا ريبة في أمانة هؤلاء النقلة الذين اخذنا منهم وعي الذات، ووعي التاريخ .. فضلاً عن وعي السوق"! وهو يقصد أن أولئك الأساتذة " قد استمرأوا التصدير منذ أن وجدوا اسواقنا نافقة لمنتجاتهم، ليس على اساس المنافسة الحرة التي اتخذها اباؤهم الاقربون، بل على سبيل الاحتكار والمتاجرة. "

٢. تفسير الاستغراب بين المسافة وغياب الترجمة

استغراب العلوي حول هذا الأمر قابلاً للتفسير والتأويل إلى يومنا هذا، وقد أعاد الدكتور عبد الحسين شعبان في مداخلته ضمن مناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع جامعة شنغهاي للدراسات الدولية وعقدت في بيروت خلال شباط / فبراير ٢٠١٧ بمشاركة نخبة من الباحثين الصينيين والعرب والغربيين المتخصصين في الشؤون الصينية، إلى الاذهان استغراب العلوي، معللاً الأمر بأنه "قد يعود في الماضي إلى المسافة الشاسعة والطرق الوعرة ، إضافة إلى غياب الطرف الوسيط " المُترجِم " الذي يعرف اللغتين العربية والصينية، وهو ما كان المترجمون" السريان" يفعلونه بخصوص التراث اليوناني والفارسي الذي نقلوه إلى اللغة العربية"[١].

وإن كان لمؤرخ فلسفة مثل الدكتور عبد الرحمن مرحبا، صاحب كتاب "من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية" رأي أقدم من ذلك ولا يتفق معه، إذ يرى " ان الحكمة الصينية رغم ما قامت به من محاولات صادقة للتجديد والانفتاح على الثقافات الأخرى، فقد ظلت – شأنها

(١)ينظر: عبد الحسين شعبان، "الصين: الصعود الآمن"، ط١، بيروت: دار النهضة العربية، ٢٠١٧، ص ١٤٥

في ذلك شأن الحكمة الهندية – بعيدة عن المنطق والدقة والمعقولية، وبالتالي لم تستطع أن تنفذ إلى تراث الفكر العالمي لتقدم له شيئاً ايجابياً بنّاءً وتسهم في رقيه وتطوره"، ويُعد بقاء هذه الحكمة حتى الآن " كبقاء المومياء محنطة في ظلمات القبور." !

٣. جهود الباحثين وإعادة قراءة العلاقات العربية الصينية:

يستشهد بعدد من المثقفين والباحثين العرب الذين أعادوا التواصل الفكري والثقافي مع الصين، وحاولوا تسليط الضوء على العلاقات العربية – الصينية، ومنهم الدكتور فيصل السّامر في كتابه" الاصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى"، وعبد المعين الملوحي الذي قام بترجمة كتاب " تاريخ الشعر الصيني المعاصر" ، وفؤاد محمد شبل في كتابه "حكمة الصين : دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصيني منذ أقدم العصور"، وهادي العلوي في ترجمته " كتاب التاو" الذي صدرت طبعته الأولى العام ١٩٨٠، فضلاً عن انجازه كتاب "المُستطّرف الصّيني" العام ١٩٩٢، كذلك لابد من الاشارة إلى الورقة التي قدمها شعبان نفسه إلى المؤتمر الرابع للحوار العربي– الصّيني الذي نظمه المعهد الصيني للدراسات الدولية في بكين خلال أيلول/ سبتمبر ٢٠١٠ وكانت بعنوان " الفلسفة التاوية وصنوها الفلسفة الصوفية : وحدة الوجود والحضور والغياب."

٤. المثقفون العراقيون والتجربة الصينية والترجمات الحديثة:

أما فيما يخص المثقفين والسياسيين والباحثين العراقيين تحديداً والذين أسهموا في تعزيز تلك العلاقة، فيشير إلى القيادي الشيوعي العراقي عامر عبد الله "ت ٢٠٠٠" الذي تأثر عقب زيارته للصين أشدّ التأثير بالتجربة الصينية المعاصرة وبفلسفتها القديمة "، والشيخ محمد حسن الصوري "ت ١٩٩٨" صاحب جريدة الحضارة الذي عاش في الصّين ودرَّس اللغة العربية في بكين ستينيات القرن الماضي، والشاعر اليساري كاظم السماوي "ت ٢٠١٠" الذي عاش أيضاً في ستينيات القرن الماضي وجزء من سبعينياته في بكين وتأثر بالحياة والفلسفات الصينية، الكونفوشيوسية والتاوية، والروائي غائب طعمة فرمان، والباحث التراثي هادي العلوي الذي كان أكثرهم تأثراً بالفلسفة التاوية، واعتبر نفسه سليل الحضارتين العربية – الإسلامية والتاوية – الصّينية، والفنان التشكيلي رافع الناصري "ت ٢٠١٣" الذي دَرَس الغرافيك في الأكاديمية المركزية في بكين، واقام أول معارضه في هونغ كونغ في العام

١٩٦٣، وأصدر كتاباً بعنوان "رحلتي إلى الصين"، فضلاً عن التجربة الصينية المعروفة للشيخ جلال الحنفي البغدادي. وفي هذا الصدد أيضاً لابد من الإشارة إلى الترجمات الحديثة للشعر العربي ومنها ترجمة الدكتور شوي تشينغ قوه "بسام" لشعر صديقه الشاعر أدونيس إلى اللغة الصينية، كذلك قام الشاعر سعدي يوسف بزيارة إلى الصين في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٩ لمناسبة احتفالات الذكرى الستين لتأسيس جمهورية الصين الشعبية نتج عنها كتيبه النثري الجميل " ثلاث مدن. ثلاثة أسابيع في الصين" ووقّعَ خلالها كتابه "مختارات شعرية " الذي ترجمه صديقه ني ليان بِن مترجم أشعاره إلى اللغة الصينية والذي كان قد التقاه أواسط التسعينيات، في العاصمة الأردنية، عَمّان.

الخاتمة:

تخلص الدراسة إلى أن العلاقة العربية الصينية تجاوزت إرث "طريق الحرير" بوصفه ممراً للبضائع، لتعيد إحياء "المصاحبة الحضارية" كبديل قيمي للمركزية الغربية. إن مبادرة "الحزام والطريق" لم تكن مجرد بعثٍ اقتصادي، بل استرداد لجسور الفلسفة التي ربطت قديماً بين "التاو" الصيني والتصوف الإسلامي. وقد أثبتت جهود المترجمين الأوائل والمعاصرين أن حوار "الكلمة" هو الضمانة لتبديد القلق المعرفي وتجاوز وعورة الطريق اللغوي. وبهذا، يظل اللقاء العربي الصيني نموذجاً للندية الثقافية القائمة على قيم الحكمة والتسامح. إن مستقبل هذه العلاقة مرهون باستكمال القراءة الفلسفية المشتركة التي تجعل من الشرق قطباً معرفياً متوازناً. وهو ما يفتح آفاقاً جديدة لإعادة كتابة تاريخ الفلسفة العالمي برؤية تنصف حكماء الشرق وفلاسفته.

المراجع

١. آن شنغ، (٢٠١٩). الفكرُ في الصّين اليوم. المنامة: هيئة البحرين للثقافة والآثار.
٢. أنس خالد النصّار، (٢٠٢٠). الاستراتيجيا الصينية تجاه الدول العربية. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
٣. أيرين فرانك وديفيد براونستون، (٢٠٠٤). طريق الحرير. ترجمة: د. أحمد فؤاد. ط١. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

٤. إمام عبد الفتاح إمام (د.)، (٢٠٠٥). مدخل إلى الفلسفة القديمة. ط١. القاهرة: دار التنوير.

٥. بدر الدين حي الصيني (د.)، (١٩٩٠). المسلمون في الصين. ط٢. الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٦. تشانغ جيانغ، (٢٠٠٥). الصين والعرب في التاريخ. ط١. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.

٧. جانغ يون لينغ، (٢٠١٧). الحزام والطريق. مصر: دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات.

٨. رشارد جي. ولش، (١٩٥٩). ماركو بولو مغامراته واستكشافاته. بغداد: دار منشورات البصري.

٩. سامر خير أحمد، (٢٠٠٩). العرب ومستقبل الصين من اللانموذج التنموي إلى المصاحبة الحضارية. دبي: مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم.

١٠. سعيد جمال الدين ماينغ جغ (د.) وعبد الله شمت المجيدل (أ.د.)، (٢٠٢٠). العرب والصين قصة حضارتين. بغداد: بيت الحكمة. (ملاحظة: ورد في قائمة أخرى بعنوان "العرب والصين: قصة حضارتين" إصدار ٢٠١٢).

١١. شوي تشينغ قوه (بسام)، (٢٠١١). تاريخ الأدب العربي في الصين. ط١. أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة).

١٢. عبد الحسين شعبان، (٢٠١٧). الصين: الصعود الآمن. ط١. بيروت: دار النهضة العربية.

١٣. فراس السواح، (٢٠١٦). التاو تي تشينغ إنجيل الحكمة التاوية في الصين. دمشق: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.

١٤. فرانكوبان، (٢٠١٧). طرق الحرير: تاريخ جديد للعالم. ترجمة: أحمد محمود. ط١. أبوظبي: دار كلمة.

١٥. فؤاد محمد شبل، (١٩٦٧). حكمة الصين. مصر: دار المعارف.

١٦. لين ماي تسون (أ.د.)، (٢٠١٨). دراسات في طريق الحرير. القاهرة: بيت الحكمة للثقافة والإعلام.

١٧. مجموعة مؤلفين، (٢٠١٩). العرب والصين مستقبل العلاقة مع قوة صاعدة. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
١٨. محمد غلاب (د.)، (٢٠١٩). الفلسفة الشرقية. القاهرة: أقلام عربية للنشر والتوزيع.
١٩. مركز دراسات الوحدة العربية، (٢٠١٧). العلاقات العربية – الصينية.. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
٢٠. مركز دراسات الوحدة العربية، (٢٠١٨). العلاقات العربية – الصينية: السياسة والاقتصاد والثقافة. ط١. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
٢١. نادية حلمي (د.)، (٢٠٢١). مبادرة الحزام والطريق الصينية: القوة الناعمة للصين في الشرق الأوسط. ط١. القاهرة: المكتب العربي للمتارف.
٢٢. هادي العلوي، (١٩٨١). التاو نصوص من الفلسفة الصينية القديمة. بيروت: دار ابن رشد للطباعة والنشر.
٢٣. هادي العلوي، (١٩٩٥). مدارات الفلسفة: الفلسفة الصينية – مدرسة الحكمة. ط١. بيروت: دار الكنوز الأدبية.
٢٤. هادي العلوي، (٢٠١٦). المستطرف الصيني "من تراث الصين". بغداد: دار المدى للإعلام والثقافة والفنون.
٢٥. هنري ماسبيرو، (٢٠٠٨). الطاوية: الفلسفة الدينية للصين. ترجمة: د. بشير إبرير. ط١. الجزائر: منشورات الاختلاف.
٢٦. هيرلي ج. كريل، (١٩٨٥). الفكر الصيني من الكونفوشيوسية إلى الماوية. ترجمة: عبد الحليم محمود. ط٢. القاهرة: دار المعارف.

References

1. **An Sheng**, (2019). *Thought in China Today*. Manama: Bahrain Authority for Culture and Antiquities.
2. **Anas Khalid Al-Nassar**, (2020). *The Chinese Strategy Towards Arab Countries*. Beirut: Arab Center for Research and Policy Studies.
3. **Irene Frank & David Brownstone**, (2004). *The Silk Road*. Trans. Dr. Ahmed Fouad. 1st Ed. Cairo: National Center for Translation.

4. **Dr. Imam Abdel Fattah Imam**, (2005). *Introduction to Ancient Philosophy*. 1st Ed. Cairo: Dar Al-Tanweer.
5. **Dr. Badr al-Din Hayy al-Sini**, (1990). *Muslims in China*. 2nd Ed. Riyadh: World Assembly of Muslim Youth.
6. **Zhang Jiang**, (2005). *China and the Arabs in History*. 1st Ed. Cairo: National Library and Archives.
7. **Zhang Yunling**, (2017). *The Belt and Road*. Egypt: Safsafa Publishing, Distribution and Research.
8. **Richard J. Walsh**, (1959). *Marco Polo: His Adventures and Explorations*. Baghdad: Al-Basri Publishing House.
9. **Samer Khair Ahmed**, (2009). *The Arabs and the Future of China: From the Development Model to Civilizational Companionship*. Dubai: Mohammed bin Rashid Al Maktoum Knowledge Foundation.
10. **Dr. Said Jamal al-Din Maing Jeng & Prof. Dr. Abdullah Shamat al-Majeedl**, (2020). *Arabs and China: A Tale of Two Civilizations*. Baghdad: Bayt al-Hikma.
11. **Xue Qingguo (Bassam)**, (2011). *History of Arabic Literature in China*. 1st Ed. Abu Dhabi: Abu Dhabi Authority for Culture and Heritage (Kalima).
12. **Abdul Hussein Shaaban**, (2017). *China: The Peaceful Rise*. 1st Ed. Beirut: Dar Al-Nahda Al-Arabiya.
13. **Firas Al-Sawah**, (2016). *Tao Te Ching: The Gospel of Taoist Wisdom in China*. Damascus: Dar Al-Takween for Authorship, Translation, and Publishing.
14. **Peter Frankopan**, (2017). *The Silk Roads: A New History of the World*. Trans. Ahmed Mahmoud. 1st Ed. Abu Dhabi: Dar Kalima.
15. **Fouad Mohamed Shebel**, (1967). *The Wisdom of China*. Egypt: Dar al-Ma'arif.
16. **Prof. Dr. Lin Meicun**, (2018). *Studies on the Silk Road*. Cairo: Bayt Al-Hikma for Culture and Media.
17. **Group of Authors**, (2019). *Arabs and China: The Future of Relationship with a Rising Power*. Beirut: Arab Center for Research and Policy Studies.
18. **Dr. Mohamed Ghallab**, (2019). *Oriental Philosophy*. Cairo: Aqlam Arabiya for Publishing and Distribution.

19. **Center for Arab Unity Studies**, (2017). *Arab-Chinese Relations: Research and Discussions of the Intellectual Symposium*. Beirut: Center for Arab Unity Studies.
20. **Center for Arab Unity Studies**, (2018). *Arab-Chinese Relations: Politics, Economy, and Culture*. 1st Ed. Beirut: Center for Arab Unity Studies.
21. **Dr. Nadia Helmy**, (2021). *China's Belt and Road Initiative: China's Soft Power in the Middle East*. 1st Ed. Cairo: Arab Office for Knowledge.
22. **Hadi Al-Alawi**, (1981). *The Tao: Texts from Ancient Chinese Philosophy*. Beirut: Dar Ibn Rushd for Printing and Publishing.
23. **Hadi Al-Alawi**, (1995). *Orbits of Philosophy: Chinese Philosophy - The School of Wisdom*. 1st Ed. Beirut: Dar Al-Kunuz Al-Adabiya.
24. **Hadi Al-Alawi**, (2016). *The Chinese Mustatraf: From China's Heritage*. Baghdad: Dar Al-Mada for Media, Culture, and Arts.
25. **Henri Maspero**, (2008). *Taoism: The Religious Philosophy of China*. Trans. Dr. Bashir Abrir. 1st Ed. Algeria: Editions El-Ikhtilef.
26. **Herrlee G. Creel**, (1985). *Chinese Thought: From Confucius to Mao Tse-tung*. Trans. Abdel Halim Mahmoud. 2nd Ed. Cairo: Dar al-Ma'arif.